المسائل العقدية في دعاء الزيارات الجامعة عند الاثنى عشرية دراسة نقدية

إعداد

الدكتورة/ سامية بنت ياسين البدري

أستاذ العقيدة المساعد بجامعة القصيم

ج:٠٥٠٢٢٠٤٩٨٤

البريد الإلكتروني: syalbadry@gmail.com

المسائل العقدية في دعاء الزيارات الجامعة عند الاثنى عشرية دراسة نقدية

د.سامية بنت ياسين بن عبدالرحمن البدري

ملخص البحث:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإنَّ فكرة هذا البحث تقوم على نقد دعاء الزيارات الجامعة الذي هو ضمن كتب أدعية المزارات لدى الشيعة الإمامية الاثنى عشرية، وأصحها لديهم، وهو يوزع بين الناس في مواسم الحج والعمرة، وله برامج إلكترونية وقراءته مهمة لديهم، لذا وجب الوقوف على مسائله ونقدها علميا، خاصة وأن التكرار للأدعية يؤدي لترسيخ المفاهيم المتضمنة له، وبعد وقوفي على الدعاء ومسائله، رأيت تقسيم الدراسة لمقدمة، وأربعة مباحث: التعريف بدعاء الزيارات الجامعة، والمبحث الثاني: الإمامة، والمبحث الثالث: الرجعة، والمبحث الرابع: البراء والولاء، وخاتمة، الهوامش وثبت للمراجع.

وقد خلصت بنتائج من أهمها: حرص الشيعة الإمامية على نشر نحلتهم بشتى الطرق، دعاء الزيارات الجامعة اشتمل على الدعوات الشركية، ولا يمت بصلة لدعاء العبادة، تعظيم الشيعة للمزارات والقبور والمشاهد وهذا يفضي للوقوع في الشرك الصراح المنافي لحقيقة التوحيد، تتمركز عقيدة الشيعة الإمامية على مسألة الإمامة التي يترتب عليها باقي المسائل من الرجعة والبراء والولاء.

لذا جاء توصية هذا البحث بتعقب كتب الدعوات، ونقدها، وبيان الخلل الذي فيها، لأن مدافعة الباطل لا تكون إلا بالحق، الذي أحق أن يتبع، ولتصحيح المفاهيم الخاطئة.

والحمد لله أولا وآخرا ظاهرا وباطنا، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

عقيدة. فرق. شيعة. توحيد. شرك. إمامة. دعاء. عبادة.

المقدمة:

الحمد لله وحده،والصلاة والسلام على من لا نبي بعده،وبعد:

فإنه لا يخفى على كل ذي لب سليم ما أصاب الأمة الإسلامية من تفرق وتمزق إبان ظهور الفرق، وتعصبها لآراء الرجال، وتقديمها لأقوالهم على المصادر الأصيلة، وإن من بين تلكم الفرق فرقة الشيعة الاثنى عشرية، التي تريد نشر معتقدها بأي طريقة، فجندت نفسها لخدمة عقيدتها، بكل الطرق والوسائل المرئية والمسموعة المقروءة والمكتوبة، وتفننت في استخدام وسائل التقنية الحديثة كتطبيقات الأجهزة الذكية، وشبكة الانترنت، ومواقع التواصل الاجتماعي، والإعلام المرئي.

وحيال مطالعتي لكتب الأدعية لديهم، وجدت أن كتاب مفاتيح الجنان هو كتاب مصاحب للقرآن، لا يستغني عنه كل شيعي(١)، ولم يعد مطبوعا فحسب، بل أصبح له برنامجا يحمل على جهاز الجوال، وحاليا له تطبيقات عدة على الأجهزة الذكية، وأصبحت كتب الأدعية والمزارات لا سيما دعاء الزيارات الجامعة في متناول الأيدي، بل إنه انتشر بشكل عجيب، فهو يوزع في مواسم العمرة والحج في هذه البلاد المباركة وغيرها من بلاد العالم التي بها مراقد أئمتهم كما يزعمون كما أن لها تسجيلا صوتيا ومرئيا يتوفر عبر شبكة الإنترنت.

والذي دعاني لاختيار دراسة دعاء الزيارات الجامعة من كتاب مفاتيح الجنان أن هذا الدعاء لديهم أصح ما ورد في أدعية المزارات، كما أنه يجزيء في زيارة كل الأئمة، وفي مطلق الزيارات الشريفة المقدسة كمراقد الأنبياء، وسائر الأوصياء، وله شروحات عدة، وستجلي الدراسة بعون الله أهم المسائل العقدية في دعاء الزيارة الجامعة.

لأجل هذا كله أحببت أن ألقي الضوء على دعاء الزيارات الجامعة من كتاب مفاتيح الجنان فكان عنوان البحث:

المسائل العقدية في دعاء الزيارات الجامعة عند الاثنى عشرية دراسة نقدية

هذا عن الموضوع وأهميته وسبب اختياري له.

(١) ذكرت لي هذا إحدى الأخوات ، بأن هذا الكتاب لا ينفك عنهم.

خطة البحث:

دعاء الزيارات الجامعة يقع ضمن كتاب مفاتيح الجنان لذا عرفت به، فألقيت الضوء على محتواه، وأهميته، وسبب تأليفه، ثم التعريف بمؤلفه، ثم أوضحت المراد من دعاء الزيارات الجامعة، وأهميته، وأشرت إلى آداب الزيارة لدى الاثنى عشرية من خلاله، ثم أبرزت أهم المسائل العقدية فيه، وبعد قراءة وتأمل وتحليل وجدتها ترجع إلى ثلاث مسائل لا تكاد أن تخرج عنها، ولا تنفك منها، وهي (الإمامة والرجعة، والبراء) فدرست كل مسألة في مبحث مستقل.

فكانت خطة البحث التفصيلية على النحو التالي:-

المقدمة: تناولت فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياري له، وخطة البحث والمنهج الذي سرت عليه.

المبحث الأول: التعريف بالزيارات الجامعة.

المبحث الثاني: مسألة الإمامة.

المبحث الثالث: مسألة الرجعة.

المبحث الرابع: مسألة البراء والولاء.

الخاتمة: ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث، وذكرت فيها بعض التوصيات.

ثبت المراجع.

منهج البحث:

المنهج البحثي الذي اعتمدت عليه في هذه الدراسة هو:

المنهج الاستقرائي: حيث استقرأت دعاء الزيارات الجامعة، وشروحاته.

المنهج التحليلي: لتحليل المسائل الواردة في دعاء الزيارات، وتتبعها في كتب الشيعة.

المنهج النقدي: لنقد دعاء الزيارات والمسائل الذي جاءت فيه.

ومنهجي في عرض المسائل: اذكر تحت كل مسألة ما ورد في الزيارات الجامعة، ثم المراد منها من خلال كتب الشيعة التي شرحتها، وأحاول جادة الإشارة إليها وتوثيقها من مصادرهم، ثم أسلط ضوء النقد عليها مباشرة بعد كل مسألة، مستندة إلى الأدلة النقلية والعقلية، وتناقض الروايات لديهم.

وهذه الدراسة المختصرة ما هي إلا محاولة أولى لكشف عوار محتوى أدعية الزيارة الجامعة، وتجليته، لذا أوصي بدراسة كتب أدعية الشيعة الإثنى عشرية المنتشرة بشتى الطرق المقروءة والمسموعة والمرئية، لأنها تلبس الحق بالباطل.

الله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

الباحثة.

المبحث الأول: التعريف بالزيارات الجامعة وآدابها:

سأعرف بالزيارات الجامعة، وآداب الزيارة التي تضمنتها، وأعرج على التعريف بكتاب مفاتيح الجنان ومؤلفه لأن دعاء الزيارات يقع ضمنه.

المطلب الأول: التعريف بالزيارات الجامعة.

أولا: الزيارات الجامعة: هي مجموعة من الأدعية التي يُدعى بها عند زيارة كل إمام من الأئمة، وهو يجزيء في زيارة كل الأئمة، وفي مطلق الزيارات الشريفة المقدسة لمراقد الأنبياء، وسائر الأوصياء(٢)، كما أنّ دعاء الزيارة الجامعة من (أصحّ الزياراتِ سندا، وأعمّها موردا، وأفصحها لفظا، وأبلغها معنى، وأعلاها شأنا)(٣).

مع العلم بأنَّ كثيراً من نصوص تلك الزيارات لا سند له، فهي روايات غير مأثورة وضَعَهَا أشخاصٌ حسب هواهم(٤).

ولنا أن نتأمل مدى تناقض الشيعة في رواياتهم والحكم عليها، والتي هي مصدر تعبدهم، وعمدة في دعائهم.

ودعاء الزيارات موجود في الكافي، والتهذيب، وتحفة الزائر(٥)، ومفاتيح الجنان.

وقد حوى فصل الزيارات الجامعة وما يدعى به عقيب الزيارات وذكر الصلوات على الحجج الطاهرين على ثلاث مقامات(٦):

المقام الأول: في الزيارات الجامعة، وهذا هو موضوع البحث، وهو يحوي خمس زيارات.

المقام الثاني: فيما يدعى به عقيب زيارة الأئمة.

المقام الثالث: في ذكر الصلوات على الحجج الطاهرين.

وقد شرح دعاء الزيارات الجامعة المجلسي في بحار الأنوار(٧)، لكن جاء شرحه مختصرا، كما شرحها الخوئي(٨)، وشرحها عبدالله شبر في الأنوار اللامعة شرح الزيارة الجامعة(٩).

ثانيا: مفاتيح الجنان(١٠).

---

(٢) ينظر: مفاتيح الجنان، ص٦٠٦-٦٠٧.
(٣) بحار الأنوار: للمجلسي، (١٤٥/٩٩) .
(٤) ينظر: المرجع السابق، (١٩٧/٩٩، ٢٤٧).
(٥) ينظر: المزار :للمفيد، ص٢٠٥.
(٦) ينظر: ص٦٠٦. ٦٢٤.
(٧) ينظر: (٣١١/٩٧).
(٨) لم أقف على شرحه.
(٩) نقلت عنه لإيضاح بعض معاني الزيارة الجامعة.
(١٠) عرفت به وبمؤلفه، لأني اعتمدت على الزيارة الجامعة الموجودة به.

أهميته: لقد اعتمدت على دعاء الزيارة الجامعة الموجود ضمن مفاتيح الجنان، لأن الشيعة تزعم أنه هو خير كتاب جامع للدعاء، والزيارة، والصلاة، والأحراز، والاستشفاء، وكل ما يحتاج إليه المؤمن من دعوات لحاجته التعبدية والأخلاقية (١١). بل نجد في وقتنا الحاضر أن أمثال هذا الكتاب يوزع مجانا في مواسم الحج والعمرة، بل إن وسائل التقنية خدمت هذا الكتاب كبرنامج الباقيات الصالحات للجوال(١٢)، وتطبيقات الأجهزة الذكية (١٣)، بل إن إحدى الأخوات تذكر لي: أن والدها يقرأ يوميا الأوراد الواردة فيه.

سبب تأليفه: كان الأدعية والزيارات في كتب الأحاديث والأدعية، فمن الصعب على عامة الشيعة اقتنائها، وحملها إلى المساجد والمزارات، فكانت الحاجة ماسة إلى كتاب يسهل اقتناؤه، وحمله، يحوي عددا من الصلوات والدعوات والزيارات، وغيرها حسب المناسبات.

فقام بجمع الأدعية والمزارات والصلوات رجال بعيدون عن العلم بمعرفة الروايات، فلم يكن لهم هم إلا جمعها، فكانت خليطا من المأثور والملفق، فأصبحت المرجع العام والوحيد في المساجد والمزارات، وهو يحوي عددا من الأدعية والزيارات المدسوسة ونسبوها إلى الأئمة المعصومين، أسموه بمفاتح الجنان (١٤).

ثم سأل بعض الإخوان الشيخ عباس القمي أن يراجع كتاب مفاتح الجنان المتداول بين الناس، ليؤلف كتابا على غراره، خلوا مما احتواه مما لا سند له وما كان له سند دعمه، مضيفا إلى ذلك أدعية وزيارات معتبرة لم ترد في الكتاب فأجابهم إلى سؤالهم فألف الكتاب وأسماه مفاتيح الجنان (١٥).

محتوى الكتاب: الكتاب يحوي ثلاثة أبواب:

الباب الأول: في دعوات أيام الأسبوع، وأعمال ليلة الجمعة.

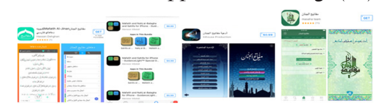
الباب الثاني: في أعمال أشهر السنة، وفضل عيد النيروز، وهذ العيد باطل ما أنزل الله به من سلطان.

الباب الثالث: في الزيارات(١٦).

مؤلف مفاتيح الجنان:

اسمه ونسبه: هو عباس بن محمّد رضا بن أبي القاسم القمّي.

(١١) ينظر :مقدمة الناشر، ص٦.
(١٢) http://www.alsada.net/هذا الموقع يحتوي على برنامج الباقيات الصالحات.
(١٣) من التطبيقات app store:



(١٤) ينظر: مقدمة التعريب، ص٨-٩.
(١٥) ينظر: مقدمة المؤلف لكتاب مفاتيح الجنان، ص٤١.
(١٦) هذا هو موضوع البحث.

ولادته: ولد القمّي حوالي عام ١٢٩٤هـ بمدينة قم.

نشأته: أمضى طفولته وشبابه في مدينة قم[١٧]، ودرس فيها مرحلة المقدّمات وكذلك الفقه والأُصول، وفي عام ١٣١٦هـ، سافر إلى مدينة النجف لإكمال دراسته، وكانت له رغبة شديدة بدراسة علوم الحديث، ولإشباع هذه الرغبة لازم حسين النوري الطبرسي[١٨] لينهل من علومه في هذا المجال، وفي عام ١٣١٨هـ، حج وبعد انتهاء موسم الحج عاد إلى مدينة قم، وبقي فيها مدّة قصيرة ثمّ عاد إلى مدينة النجف، وبقي ملازماً أستاذه وشيخه النوري الطبرسي، وأخذ يساعده في استنساخ كتابه المعروف مستدرك الوسائل. وبعد مرور عامين على رحيل أستاذه الشيخ النوري الطبرسي عاد إلى مدينة قم، بسبب تدهور وضعه الصحي، وبعد عودته انشغل بالتأليف، والترجمة، والوعظ والإرشاد.

وفاته: توفّي القمّي في الثالث والعشرين من ذي الحجّة ١٣٥٩هـ، بمدينة النجف[١٩].

المطلب الثاني: آداب الزيارة الجامعة عند الشيعة:

حيال دراستي لدعاء الزيارات الجامعة وجدت أن لها آدابا، أجملها في الآتي:-

١- الاغتسال لزيارة الأئمة.

٢- المثول أمام قبور الأئمة، وهذا له طقوس لديهم، حيث يستحضر الزائر لقبور الأئمة حياتهم الحافلة بالمكرمات والنصيحة من أجل الله، وبالتالي الحصول على مرضاة الله تعالى التي من أجلها خلق الإنسان، وخلق كل شئ[٢٠].

٣- الوقوف على المراقد والقبور لأئمتهم _الحرم الشريف_ فيستأذن، ويجتهد في الرقة والانكسار، والتفكر في عظمة صاحب المرقد، وأنه يرى مقامه ويسمع كلامه ويرد سلامه. عياذا بالله من قولهم.

٤- تقبيل القبر، وأن يستقبل القبر ويستدبر القبلة.

٥- يصلي صلاة الزيارة أقلها ركعتان[٢١].

٦- أن يزور بالزيارات المأثورة المروية.

٧- الشيعة يرون أن الإنسان إذا زار عظيما من أمثال أئمتهم المعصومين أنه يتأثر بروحهم، ويتغير من سيئ إلى حسن، ومن حسن إلى أحسن، فالعصاة الآثمين من وجهة نظرهم تغير مسيرهم بزيارة مراقد وقبور أهل البيت، وانقلبوا نفسيا وفكريا من الشذوذ إلى الصراط المستقيم[٢٢].

إلى غير تلك الآداب التي يتأدب بها زائري القبور والمراقد من وجهة نظر الشيعة، والمتأمل لهذه الآداب يلاحظ ثمة أمور:

(١٧) تنبيه: حينما يذكر الشيعة مدينة قم يصفونها بقم المقدسة، وكذا النجف يسمونه بالنجف الأشرف لأنهم يفضلونها على جميع المقدسات كالبيت الحرام والمسجد النبوي، وحذفتها لأني لا أقرها ولا أريد أن أبثها.وعذري أني لست بناقلة لنص.

(١٨) مؤلف كتاب فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب، ولعل القمي تأثر بشيخه، فأراد أن يؤلف كتابا تعتمد عليه الشيعة في أدعيتهم.

(١٩)ينظر: http://www.alshia.org/html/ara/others/?mod=monasebat&id=257.

(٢٠) ينظر: مفاتيح الجنان، ص٣٦٣. ٣٦٤، والكافي: للكليني، (١/١٠)

(٢١) ينظر: مفاتيح الجنان، ص٣٦٥، بحار الأنوار: للمجلسي، (١٠٠/١٣٧.١٣٨).

(٢٢) ينظر: الأنوار اللامعة شرح الزيارة الجامعة شرح آل كاشف الغطاء: لعبدالله شبر، ص١١.

أولا: الاهتمام البالغ من قبل الشيعة بالمآتم والزيارات وقراءة المراثي على الأموات وهذا يسعى لتحميس الناس وإثارتهم، وتهييج عواطفهم، وعلى إثرها تكون اللطميات والثأر لأعداء الأئمة، واختلاق الأحداث لهذا.

ثانيا: تم دعم المزارات بوضع الأخبار والأحاديث والآداب في ثواب الزيارات، وفي الأجر الجزيل لمن يقيم أو يحضر مراثي ومآتم آل البيت وخصصت الأدعية للزيارات، مما أعطى للزيارات صفة القداسة حيث سيقت الروايات الكثيرة لتؤثر بشكل أكبر في الناس.

ثالثا: تصرف الأموال الطائلة، وتوقف الأوقاف، ويبالغ بفحش في تزيين المراقد والمزارات، لجذب عامة الناس، وهناك من يموت من الفقر.

رابعا: صور الشركيات التي تطفح بها الزيارات، من التوجه بالصلاة إلى القبور، وشد الرحال إليها، وطلب العون والغوث والمدد من الأموات، مع اعتراف الشيعة بأن الدعاء عبادة كما في الكافي(٢٣)، وهم مع ذلك تراهم يجوزون التوجه بالدعاء للمخلوق وللقبور.

فهم من أشد الناس عبادة للقبور وتعظيماً لها، وترغيباً بشد الرحال إليها والعكوف عندها، لاعتقادهم أن ساكنيها من الأئمة الأموات يملكون القدرة على إغاثتهم، والاستجابة لهم وهذا عين الشرك والكفر، يقول الله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس:١٨]، كما أن اتخاذ القبور مساجد ملعون فاعله على لسان رسول الهدى ﷺ حيث قال: (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)(٢٤)، (وقد اتفق المسلمون على أنه لا يشرع الاستلام والتقبيل إلا للركنين اليمانيين، فالحجر الأسود يستلم ويقبل، واليماني يستلم، وقد قيل إنه يقبل وهو ضعيف، وأما غير ذلك فلا يشرع استلامه وتقبيله كجوانب البيت، والصخرة والحجرة النبوية، وسائر قبور الأنبياء والصالحين)(٢٥).

المبحث الثاني: مسألة الإمامة:

إن الناظر لدعاء الزيارات الجامعة يجد غلو الشيعة في أئمتهم واضح بين، إذ دينهم قائم على مسألة الإمامة(٢٦)، لذا سموا بالإمامية(٢٧)، فتارة يدّعون أن معرفة الله تعالى لا تكون إلا بأئمتهم، ثم ادعوا لهم الربوبية، فوصفوهم زورا وبهتانا بصفات الله تعالى، ثم ادعوا لهم الإلهية، وأخرى وصفوهم بصفات الملائكة وثالثة ادعوا لهم النبوة، فزعموا أنهم يوحى إليهم، وأنهم معصومون من الزلل ثم ادعوا حلول الإله في أئمتهم، ومن ثم فيهم.

و سأتناول هذه المسائل ــ بعون الله ــ من خلال دعاء الزيارات الجامعة في سبعة مطالب:

(٢٣) ينظر: الكافي: للكليني ٤٦٧/٢.

(٢٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب: (٤٣٥)، وفي كتاب الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور، (١٣٣٠).

(٢٥) مجموع الفتاوى: لابن تيمية، (٥٢١/٤).

(٢٦) ينظر: بحار الأنوار: للمجلسي، (٣/٢٦)، والكافي: للكليني، (١٢٤/١)، وأصل الشيعة وأصولها: لمحمد آل كاشف الغطا، ص٢١١، وزهر الربيع: للحسيني، ص١٢.

(٢٧) ينظر: العيون والمحاسن: للمفيد، (٩١/٢).

المطلب الأول: دعوى أن معرفة الله لا تكون إلا عن طريق أئمتهم.

ادعى الاثني عشرية أن معرفة الله تعالى ومعرفة شرعه لا تكون إلا عن طريق أئمتهم(٢٨)، ومما جاء في الدعاء الجامع للزيارات ما نصه: (محال معرفة الله)(٢٩)، و(من عرفهم عَرَف الله)(٣٠)، والمراد: (أنه لم يعرف الله حق معرفته إلا هم، ولا يعرف الله إلا بهم ومنهم، وكفى شاهدا بذلك ما ورد عنهم في بيان توحيد الله وصفاته الجلالية والجمالية ونعوته الثبوتية والسلبية. ويمكن أن يكون المراد أنهم مظاهر أسماء الله وصفاته من العلم والجود والكرم والقدرة وغيرها فمن عرفهم عرف الله)(٣١).

و(أبواب الإيمان)(٣٢)، والمراد: (أي لا يُعرف الإيمان إلا منهم ولا يحصل بدون ولايتهم فهم خلفائه الذين تجب طاعتهم وأبوابه التي يؤتى منها..)(٣٣).

إن ما قرره الشيعة من أن معرفة الله تعالى، ومعرفة شرعه لا تكون إلا عن طريق أئمتهم هذه دعوى لادليل عليها، إذ معرفة الله تعالى فطرية، فكل إنسان مخلوق خلقة تقتضي معرفة الله وتوحيده، وهذا واضح بين في قول الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم:٣٠]، وقول المصطفى ﷺ: (كل مولود يولد على الفطرة..)(٣٤)، وغيرها من النصوص الواضحة البينة(٣٥)، التي تدل على فطرية المعرفة بالخالق معرفة كلية إجمالية، أما التفصيلية فلا سبيل إليها إلا عن طريق الوحي(٣٦).

كما أن معرفته تعالى تكون بآياته الكونية والشرعية، وفق نصوص الكتاب والسنة، فالخلق والإيجاد، والإحكام والإتقان دلائل عقلية دلت على الله تعالى وكل فرد منا يجد ضرورة حسية بمقتضى وجود الله تعالى ومعرفة الخالق البارئ المصور المستحق للمحبة والشكر على الإيجاد والإمداد(٣٧).

ثم إن المتأمل في دعوة الرسل صلوات ربي وسلامهم عليهم أجمعين لا يجد فيهم (من قال أول ما دعا قومه: إنكم مأمورون بطلب معرفة الخالق، فانظروا واستدلوا حتى تعرفوه، فلم يكلَّفوا أولا بنفس المعرفة، ولا بالأدلة الموصلة إلى المعرفة، إذ كانت قلوبهم تعرفه وتقر به، ... ولهذا قال الله في خطابه لموسى: (فقولا له قولا لينا) لما في فطرته من العلم الذي به يعرف ربه ،ويعرف إنعامه عليه وإحسانه إليه، وافتقاره إليه فذلك يدعوه إلى الإيمان)(٣٨).

(٢٨) ينظر: الأمالي: للصدوق، ص٥٤٥، والتوحيد: للصدوق، ص١٥٠، والكافي: للكليني، (١/١٨٠)، وبحار الأنوار: للمجلسي، (٧/٩٩)، ورسائل الشريف المرتضى، (٢/٢٤٩)، وإرشاد القلوب: للديلمي، (٢/٤١٤) والتحفة السنية: للجزائري، ص١٩٧.

(٢٩) ص ٦٠٦، وص ٦٠٨.

(٣٠) ص٦٠٧.

(٣١) الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة: شرح آل كاشف الغطاء السيد عبدالله شبر، ص٧٧. وسيأتي في المطلب الثالث: وصفهم لأئمتهم بصفات الله، يراجع: المطلب الثالث من هذا البحث.

(٣٢) ص ٦٠٨.

(٣٣) الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة: شرح آل كاشف الغطاء السيد عبدالله شبر، ص٦١ ـ ٦٣.

(٣٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب إذا اسلم الصبي فمات هل يصلى عليه؟ ١٣٥٩، ومسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، ٢٦٥٨.

(٣٥) ينظر للاستزادة: المعرفة في الإسلام مصادره ومجالاتها: د/ عبدالله القرني، ٢٢٧-٢٤٢، والأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد: د/سعود العريفي، ١٩٨-٢٠٨.

(٣٦) ينظر: بيان تلبيس الجهمية: لابن تيمية، (١/٢٤٨).

(٣٧) ينظر: درء تعارض العقل والنقل: لابن تيمية، (٨/٤٥٨).

(٣٨) مجموع الفتاوى: لابن تيمية، (١٦/٢٣٨).

ثم أين هؤلاء الأئمة الذين بهم يعرف الله عن الأمم السابقة؟ فهل الأمم السابقة لم تعرف الله؟ لأن الأئمة الذين يعرف الله من خلالهم لم يكونوا في زمانهم!

وعلى هذا فكل الأمم ممن سبق الأئمة لم يعبدوا الله؟ ولم يعرفوا شرعه؟ لعدم وجود الأئمة آنذاك، هذا مما لاشك فيه باطل معلوم بالضرورة من إيمان تلك الأمم برسلهم، ونصرة الله تعالى لهم.

ثم إن الله تعالى رحيم بعباده لا يكلف نفسا إلا وسعها، فهل تطيق النفوس أن تعرف الأئمة الاثنى عشر، والغائب المنتظر لتعرف فاطرها وما شرع لها؟ وهذا تطويل وتعقيد في معرفة الله الفطرية المتيقن حصولها في النفس البشرية، بخلاف مسألة الإمامة التي تعنى بسياسة الأمة فهي مسألة منفكة عن معرفة الله تعالى، إضافة إلى أن معرفة الله تعالى لم تتعلق بمعرفة الأنبياء والرسل، فكيف تتعلق بمعرفة الأئمة؟!

فدعوى أن معرفة الله تعالى لا تكون إلا عن طريق الأئمة دعوى باطلة، حيث أراد الشيعة أن يبنوا عليها أحكاما أخرى لتأصيل قضية الإمامة، فتم ربط معرفة الله بها.

المطلب الثاني: دعوى الربوبية لأئمتهم.

تدعي الشيعة الاثنى عشرية أن ما يجري في هذا الكون من حوادث فهو من صنيع أئمتهم(٣٩)، وقد جاء في دعاء الزيارات الجامعة: (وبكم ينزل الغيث وبكم يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه وبكم ينفس الهم ويكشف الضر)(٤٠)والمراد: (أن الغيث ينزل بهم أي بدعائهم، كما ورد في الأخبار... وبكم ينفس الهم ويكشف الغم ويرفع الضر، وروي: فهم حجج الله في أرضه، وخلفائه في عباده، وأمنائه على سره، ونحن كلمة التقوى، والعروة الوثقى، ونحن شهداء الله وأعلامه في بريته، بنا يمسك السماوات والأرض أن تزولا، وبنا يُنْزِل الغيث وتنشر الرحمة، لا تخلو الأرض من قائم منا ظاهر أو خاف ولو خلت يوما بغير حجة لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله..)(٤١).

ويزعمون أن مصدر النجاة والهداية هم الأئمة، فبهم يتمسكون وإليهم يلجئون ومما جاء في ذلك دعاء الزيارات الجامعة: (فاز من تمسك بكم، وآمن من لجأ إليكم، وسلم من صدقكم، وهدي من اعتصم بكم)(٤٢).

بل إنهم ادعوا أن إياب الخلق إليهم وحسابهم عليهم وفصل الخطاب عندهم كما جاء في دعاء الزيارات الجامعة(٤٣)، والمراد: أي رجوع الخلق إما (في الدنيا لأمور دينهم ودنياهم وأحكام شرائعهم وإصلاح معادهم ومعاشهم، أو في القيامة لأجل الحساب والشفاعة إليكم أو إلى كلامكم أو إلى مشاهدكم... وحسابهم عليكم فقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [الغاشية:٢٥-٢٦]، أي إلى أوليائهم... يدفع إلينا حساب الناس فنحن والله ندخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار... الخ)(٤٤). وهذا الدعاء من الزيارة يقضي على آيات الوعيد والإنذار التي وردت في القرآن، فأمر الحساب بأيدي الأئمة.

(٣٩) أصول الكافي: للكليني، (١/١٠٣)، والاختصاص:للمفيد، ص٣٢٧، وبحار الأنوار: للمجلسي، (٢٧/٣٢.٣٣).
(٤٠) ص٦١٢.
(٤١) الأنوار اللامعة ، مرجع سابق، ص١٨١.١٨٢.
(٤٢) ص٦١٠.
(٤٣) ينظر: ص٦٠٩، ورجال الكشي، (٤/٢٨٣)، والفصول المهمة في أصول الأئمة: العاملي، (١/٤٤٦).
(٤٤) الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة :شرح آل كاشف الغطاء السيد عبدالله شبر، ص١٣٦ . ١٣٨

لقد نقض الشيعة مذهبهم فيما ادعوا من دعوى الربوبية لأئمتهم، فقد روت كتبهم دعاء أحد أئمتهم جعفر الصادق الذي يظهر فيه ضعفه، وقلة حيلته، وتوجهه ورجائه لله تعالى وحده، ومناجاته لخالقه، وهذا يدلنا على أن أئمتهم ما هم إلا عباد لله تعالى. فكيف يدّعون لهم الربوبية؟

لقد انتكست لديهم الفطر السوية التي تقر بربوبية الله الواحد القهار، فأشركوا في توحيد الربوبية فأثبتوا أربابا كثر يتصرفون في الكون مع الله تعالى متماثلين في الصفات والأفعال وهذا لم يثبت عن طائفة من الطوائف التي ذكر الله تعالى شركها في القرآن(٤٥).

المطلب الثالث: وصفهم لأئمتهم بصفات الله تعالى.

يزعم الشيعة وصف أئمتهم بصفات الله تعالى(٤٦)، فمن تلك الصفات التي وصفوا بها أئمتهم. إضافة إلى ما سبق ذكره في دعوى الربوبية(٤٧) في الزيارات (معدن الرحمة، وخزان العلم... المثل الأعلى... عَيْبَة علمه)(٤٨)، (ارتضاكم لغيبه... خزنة لعلمه)(٤٩)، (موالي لا أحصي ثناءكم، ولا أبلغ من المدح كنهكم، ومن الوصف قدركم)(٥٠)، (وأشرقت الأرض بنوركم)(٥١).

والمراد بخزان العلم أي (أن جميع العلوم الإلهية والأسرار الربانية والمعارف الحقيقية وما اشتملت عليه الكتب الإلهية مخزونة عندهم عليهم السلام، وهم الراسخون في العلمن العالمون بتأويل الكتاب، وفصل الخطاب...)(٥٢).

والمراد بعَيْبَة علمه أي: (العيبة هي الصندوق أو مستودع أفضل الثياب، (وعيبة علمه) على الاستعارة أي هم خزنة علم الله ومستودع سره)(٥٣).

والمراد بالمثل الأعلى: (... إنهم حجج الله تعالى، بل أعلاهم، وهم المتصفون بصفات الله تعالى، فكأنهم صفاته، بل هم مظاهر أسمائه وصفاته)(٥٤).

ولنا أن نتأمل مدى تعطيلهم لأسماء الله وصفاته، ووصفهم بها أئمتهم، ((لا أحصي ثنائكم) كما أنه لا يمكن إحصاء الثناء على الله،... فالأئمة. هم مظاهر صفات الله وأسمائه ولا يمكن لغيرهم معرفة كمالاتهم، ...(ولا أبلغ من المدح كنهكم ولا من الوصف قدركم) ومما جاء في وصف أئمتهم (واحد دهره لا يدانيه أحد ولا يعادله عالم ولا يوجد منه بدل ولا له مثل ولا نظير...)(٥٥).

(٤٥) ينظر: مجموع الفتاوى: لابن تيمية، (٩٧.٩٦/٣)، وشرح العقيدة الطحاوية: لابن أبي العز، (٣٨/١) .
(٤٦) ينظر: الإختصاص: للمفيد، ص٢٤٨، والتوحيد: للصدوق، والألفية: للحلي، ص١٤٠، والتوحيد: لابن باويه، ص١٦٤، والكافي: للكليني، (١٠٣/١)، ومصابيح الأنوار في حل مشكلات الأخيار: لعبدالله شبر، (٢٢٢/٢).
(٤٧) يراجع المطلب السابق من البحث.
(٤٨) ص٦٠٨
(٤٩) ص٦٠٩.
(٥٠) ص٦١٢.٦١١.
(٥١) ص٦١٦. وينظر: تفسير القمي، (٢٥٣/٢)، وتفسير البرهان، (٨٧/٤).
(٥٢) الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة :شرح آل كاشف الغطاء السيد عبدالله شبر، ص ٤٨.
(٥٣) المرجع نفسه، ص١٠٤.
(٥٤) الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة :شرح آل كاشف الغطاء السيد عبدالله شبر، ص ٧٦.٧٤.
(٥٥) المرجع السابق ١٧٨.

لقد انفردت الشيعة، وشذت عن الأمة بتشبيه المتقدمين منهم الخالق سبحانه بصفات المخلوقين منهم، ثم واجه هذه الموجة الغالية في التجسيم موقف آخر قد يمثل ردة فعل له، وهو موقف التعطيل، فشبهوا الله سبحانه بالمعدومات والجمادات والممتنعات، وعطلوا نصوص الأسماء والصفات.

فهم لم يصفوا الله سبحانه بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ لا في مذهبهم الأول ولا في مذهبهم الأخير.

و إذا كان الأمر كذلك فإنهم لم يكتفوا بذلك، بل تطور الأمر إلى أن الأسماء والصفات الواجبة لله سبحانه وصفوا بها أئمتهم، فخرجوا بمذهب ثالث وهو تشبيه المخلوق بالخالق، فشابهوا النصارى في ذلك كما شابهوا اليهود في المذهب الأول التجسيم(٥٦).

فدعواهم بطلانها ظاهر بنصوص الوحيين، يقول الله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٧٣_٧٤]، وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١]، وقوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام:٥٩]، وغيرها من الآيات البينات.

وقد تمدّح الربّ _تبارك وتعالى_ بتفرّده بالمثل الأعلى في قوله: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[النحل:٦٠]، وقوله: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم:٢٧]، وجعله طريقًا لمعرفته وعبادته، وبرهانًا على توحيده وبطلان عبادة ما سواه(٥٧).

ثم إن الأسماء والصفات على نوعين:

نوع يختص به الرب، مثل رب العالمين، والإله، ونحو ذلك، فهذا لا يثبت للعبد بحال، ومن هنا ضل المشركون اللذين جعلوا لله أندادا.

والثاني: ما يوصف به العبد في الجملة كالحي والعالم والقادر، إلا أنه لا يجوز أن يثبت للعبد ما يثبت للرب أصلا(٥٨).

ومما يدل على بطلان ما ادعوه في حق أئمتهم مما سبق ذكره، رواياتهم التي تنقض هذا، فمما جاء في كتبهم (ليس نحن شركاء في علمه، ولا في قدرته، بل لا يعلم الغيب غيره، كما قال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾[النمل:٦٥]، قد أذانا جهلاء الشيعة وحمقاؤهم،......، وأُشهد الله أني بريء إلى الله وإلى رسوله ممن يقول: إنا نعلم الغيب، أو نشارك في ملكه..)(٥٩).

ومما ورد أيضا، ما روته كتبهم من تجريد الأئمة من الصفات الإلهية، فهي لا تنبغي إلا لله تعالى وحده (ياعجبا يزعمون أنا نعلم الغيب، ما يعلم الغيب إلا الله عز وجل، لقد هممت بضرب جاريتي فلانة، فهربت مني، فما علمت في أي بيوت الدار هي...)(٦٠).

(٥٦) ينظر: أصول الشيعة الإثني عشرية: د/ ناصر العقل، (٦٧٥/٢).
(٥٧) آثار المثل الأعلى: د/ عيسى بن عبدالله السّعدي، ص٢.
(٥٨) ينظر: منهاج السنة:لابن تيمية، (٣٤٢/١).
(٥٩) الإحتجاج: للطبرسي، (٢٨٩/٢)، وبحار الأنوار: للمجلسي، (٢٦٦/٢٥،٢٦٧).
(٦٠) الكافي: للكليني، (٢٥٧/١)، وينظر إلى بعض رواياتهم التي تنقض مذهبهم في بحار الأنوار: للمجلسي، (٣٠١/٢٥أ)، ورجال الكشي، ص٣٢٣.

فهل يمكن أن يدعو الإنسان ربه بكتبهم التي ينقض بعضها الآخر.

المطلب الرابع: دعوى الإلهية لأئمتهم.

اعتقدت الشيعة الاثنى عشرية على حد زعمهم أن أئمتهم هم الواسطة بين الله والخلق، فصرفوا العبادة إليهم، وأخذوا يدعونهم رغبا ورهبا [٦١]، ولا غروَ إن ادعوا لأئمتهم الربوبية فلا شك أنهم سيصرفون عبادتهم إليهم!

ومما جاء في دعاء الزيارات الجامعة: (آخذ بقولكم، عامل بأمركم، مستجير بكم، زائرلكم، لائذ عائذ بقبوركم، مستشفع إلى الله عز وجل بكم، ومتقرب بكم إليهن ومقدمكم أمام طلبتي وحوائجي وإرادتي في كل أحوالي وأموري ...، وفقني الله لطاعتكم ...، من أراد الله بدأ بكم، ومن وحده قبل عنكم، ومن قصده توجه بكم)[٦٢].

والمراد: ((مستجير بكم) أي بولايتكم أو بمحبتكم أو بزيارتكم أوالأعم. (زائر لكم) راجيا بذلك الفوز بالثواب والنجاة من العقاب، (مستشفع إلى الله عز وجل بكم) أي أجعلكم شفعائي إلى الله تعالى، (ومتقرب بكم إليه ومقدمكم أمام طلبتي..) أي أسأله بحقكم واستشفع بكم قبل ذلك حتى يحصل تنجيز الأمور، أوالمراد أني أقدم الصلاة عليكم قبل ذلك ليستجاب الدعاء، (و مفوض في ذلك كله إليكم) أي لا أعترض عليكم في شئ من أموركم بل أعلم أن كلما تأتون به فهو بأمره تعالى، أو المعنى أسلم جميع أموري إليكم لكي تصلحوا خللها وفاسدها فإن أعمال الخلائق تعرض عليهم، (ومسلم فيه) أي في ذلك كله (معكم) إلى الله تعالى فلا أعترض على الله تعالى في عدم استيلائكم وغيبتكم وغير ذلك، بل أسلم لأمره وأرضى بقضائه معكم، أي كما سلمتم ورضيتم، (وقلبي لكم مسلم) أي منقاد مطيع مذعن لأموركم وأفعالكم لا يختلج فيه شئ من أقوالكم وأفعالكم وأحوالكم، (ورأيي لكم تبع) أي رأي تابع لرأيكم، ولا رأي لي مع رأيكم كما لأعدائكم)[٦٣].

كما اتخذوا أئمتهم وسطاء بينهم وبين الله فلا تقبل الأعمال إلا بهم[٦٤]، ومما جاء في ذلك: (يا ولي الله إن بيني وبين الله عز وجل ذنوبا لا يأتي عليها إلا رضاكم، فبحق من ائتمنكم على سره واسترعاكم أمر خلقه وقرن طاعتكم بطاعته لما استوهبتم ذنوبي، وكنتم شفعائي، فإني لكم مطيع، من أطاعكم فقد أطاع الله، ومن عصاكم فقد عصى الله، ومن أحبكم فقد أحب الله، ومن أبغضكم فقد أبغض الله، اللهم إني لو وجدت شفعاء أقرب إليك من محمد وأهل بيته الأخيار الأئمة الأبرار لجعلتهم شفعائي، فبحقهم الذي أوجبت لهم عليك أسألك أن تدخلني في جملة العارفين بهم وبحقهم وفي زمرة المرحومين بشفاعتهم إنك أرحم الراحمين)[٦٥]، والمراد: ((يا ولي الله) المخاطب هو الإمام الحاضر الذي يزوره أو يقصده بالزيارة، أو المراد جميع الأئمة بشمول الجنس له ويؤيد الإتيان بلفظ الجمع بعد ذلك (أن بيني وبين الله عز وجل ذنوبا لا يأتي عليها إلا رضاكم) أي لا يذهبها ولا يمحوها إلا رضاكم عنا وشفاعتكم لنا، فلا يهلكها ولا يمحوها إلا رضاكم. (فبحق من ائتمنكم) أي جعلكم أمناء (على سره) من العلوم الإلهية والمعارف الربانية والمكاشفات الغيبية والحقائق الحقانية.

(٦١) ينظر: الكافي: للكليني، (١/١٠٣)، وكشف الأشرار: للخميني، ص٣٠.
(٦٢) ص٦١١.
(٦٣) الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة: شرح آل كاشف الغطاء السيد عبدالله شبر، ص ١٧٠. ١٧١.
(٦٤) ينظر: بحار الأنوار: للمجلسي، (٢٣/٩٧.٩٩)، (٢٧/١٦٦)، والكافي:للكليني، (١/٣٣١.٣٣٢)، والأمالي: للصدوق، ص٣٢٨.
(٦٥) ص٦١٣.

(واسترعاكم أمر خلقه) أي جعلكم أئمة ودعاة لأمور الخلائق من المعارف والأعمال وجعل الخلق رعية لكم (وقرن طاعتكم بطاعته) حيث قال: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[النساء:٥٩]، وقال تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾[النساء:٨٠]... فيجب أن يكون المراد بأولي الأمر الذين أمر الله بطاعتهم الأئمة المعصومين من الزلل المفطومين من الخلل الذين هم مثل النبي ﷺ (لما استوهبتم ذنوبي) أي أسألكم وأقسم عليكم في جميع الأحوال إلا حال استيهاب الذنوب الذي هو وقت حصول المطلوب. (وكنتم شفعائي) في الدنيا والآخرة. (فإني لكم مطيع) في الجملة أو قائل مقر معتقد بوجوب طاعتكم وإن صدرت مني مخالفتكم)(٦٦).

وقولهم: (يا مواليي كونوا شفعائي في حط وزري وخطاياي)(٦٧).

بل إنهم ادعوا زورا وبهتانا أن لأئمتهم حق التحليل والتحريم فأطاعوهم طاعة عمياء(٦٨)، ومما جاء في ذلك: (محقق لما حققتم، مبطل لما أبطلتم، مطيع لكم عارف بحقكم... آخذ بقولكم عامل بأمركم)(٦٩).

فالأئمة عند هؤلاء قد منحهم الله القدرة على التأثير، وعلى إجابة المضطر إذا دعاهم، وهذا عين الكفر والشرك، والتكذيب للتنزيل(٧٠).

فإن قيل: أين الدليل على كفر من يتوجه بالدعاء أو أي نوع من أنواع العبادة للمخلوق؟

أقول: الأدلة على كفره كثيرة منها، قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس:١٨]، وقال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر:٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس:١٠٦]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص:٨٨]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام:١٧]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [النمل:٦٢]، وغيرها كثير من الآيات التي تفيد كفر من توجه بالدعاء أو أي نوع من أنواع العبادة للمخلوق.

فليس بين العبد وربه وسائط تحجبه، ولا حجب تمنعه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

(٦٦) الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة: شرح آل كاشف الغطاء السيد عبدالله شبر، ص ١٩٧-٢٠٠.
(٦٧) ص٦١٦.
(٦٨) ينظر: الاختصاص: للمفيد، ص٣٣٠، وبحار الأنوار: للمجلسي، (٣٣٤/٢٥).
(٦٩) ص٦١١.
(٧٠) ينظر: الواسطة بين الخلق والحق ضمن مجموع الفتاوى: لابن تيمية، (١٢١/١).

المطلب الخامس: وصف أئمتهم بصفات الملائكة.

إن كان الأئمة عند الشيعة الاثنى عشرية يتصفون بصفات الله تعالى، وهم الواسطة بين الله وخلقه، بل إن العبادات تصرف إليهم، فلا يمنع أن يتصفوا بصفات الملائكة كما زعموا(٧١)، وقد جاء ذلك في دعاء الزيارات الجامعة، (عباده المكرمين الذي لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) (٧٢) أي: الذين كرمهم الله تعالى بالعصمة، والطهارة، والمعرفة، ونحوها (الذين لا يسبقونه بالقول) أي: لا يقولون بقول إلا أن يكون مأخذه عنه تعالى ولا يتكلمون إلا بأمره بل كلامهم كلامه تعالى) (٧٣).

بل إن أئمتهم مقربين عند الله تعالى قربا معنويا فإن لهم المحل الأعلى عنده بحيث لا يدانيهم ملك مقرب ولا نبي مرسل(٧٤) (خلقكم الله من أنوار، فجعلكم بعرشه مُحْدِقين) (٧٥) أي: (مطيفين به، والمراد بالعرش إما العلم وهم مستنهضون من علمه تعالى، أو المراد به الجسم المحيط، وكانوا أشباحا أو في أجساد مثالية يطوفون به أوهم الآن كذلك) (٧٦).

إن تطاول الشيعة على مقام الملائكة المقربين، وسلبهم الصفات التي وصفهم الله تعالى بها في محكم التنزيل ليصفوا بها أئمتهم، وجعل وظائف الملائكة الكرام هي وظائف للأئمة، هو في حقيقة الأمر إنكار للملائكة عليهم السلام، وتأويل وتحريف لمعاني النصوص القرآنية (٧٧).

فالملائكة هم عباد الله المكرمون، وهم السفرة بين الله وبين رسله، خلقهم الله تعالى من نور لعبادته قال النبي ﷺ: (خلقت الملائكة من نور) (٧٨).

وقد وصفهم المولى جل ذكره بصفات عدة في محكم التنزيل، منها قول الله تعالى واصفا لهم: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ الأنبياء﴾ [٢٦_٢٧]، وقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[فاطر:١]، وقوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [لأنبياء: ١٩_٢٠]، إلى غير ذلك من الآيات البينات، فالملائكة مخلوقات عظيمة محال أن يكون لأئمتهم صفات الملائكة.

كما أن للملائكة وظائف عدة فمنها الموكل بالوحي وهو جبريل، والموكل بالقطر ميكائيل، والموكل بالنفخ في الصور إسرافيل،... إلى غير ذلك(٧٩)، فلا يمكن أن تكون هذه الوظائف لأئمتهم.

(٧١) ينظر: بحار الأنوار: للمجلسي، (٨٧/٢٤).
(٧٢) ص٦٠٨.
(٧٣) الشرح ص٩٦.
(٧٤) الشرح ص١١٣.
(٧٥) ص٦١٠، وينظر: بحار الأنوار: للمجلسي، (٨٧/٢٤).
(٧٦) الشرح ص١٥٢.
(٧٧) عقائد الشيعة الاثنى عشرية سؤال وجواب: عبدالرحمن الشثري، ص١٠٩.
(٧٨) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة، (٢٩٩٦).
(٧٩) ينظر: معارج القبول: للحكمي، (٦٧١.٦٥٨/٢).

المطلب السادس: دعوى النبوة لأئمتهم.

لقد ادعت الاثنى عشرية النبوة لأئمتهم(٨٠)، وترتب على هذا أن الأئمة لهم معجزات، ويوحى إليهم، فكلام الأئمة وحي لا بد من الأخذ به(٨١)، ومما جاء في دعاء الزيارات الجامعة: (يا أهل بيت النبوة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة ومهبط الوحي)(٨٢)، والمراد بموضع الرسالة (أي مخزن علوم جميع رسل الله وموضع أسرار أنبياء الله، أو معناه القوم الذين جعل الله الرسالة منهم والأول أظهر (ومختلف الملائكة) أي محل اختلافهم وترددهم ونزولهم وعروجهم لاكتساب العلوم الإلهية والمعارف الربانية والأسرار الملكوتية منهم ثى لكونهم أفضل من الملائكة كما دل عليه العقل والنقل)(٨٣).

(وميراث النبوة عندكم...، وآيات الله لديكم وعزائمه فيكم ونوره وبرهانه عندكم)(٨٤)(عندكم ما نزلت به رسله وهبطت به ملائكته)(٨٥)(آمنت بالله وبما أنزل إليكم)(٨٦).

والمراد أن: (أي معرفة آيات الله عندكم فإنهم أهل الذكر العالمون بتنزيله وتأويله ومحكمه ومتشابهه كما تقدم، أو المعجزات التي أعطيت جميع الأنبياء لديكم، أو مطلق براهين الله وآياته لديكم. (ونوره) من العلوم الإلهية والمعارف الربانية والهدايات السبحانية (وبرهانه) من الدلائل الظاهرة والمعجزات الباهرة (عندكم) فإنهم مظاهر آيات الله وعلومه كما تقدم)(٨٧).

بل إنهم خصوا أئمتهم بخصائص خليل الله محمد ﷺ التي خصه الله تعالى بها دون غيره من سائر الأنبياء، فقالوا في دعاء الزيارات: (لكم الدرجات الرفيعة والمقام المحمود)(٨٨).

وبما أنهم يدعون أن أئمتهم أنبياء فهم معصومون من الصغائر والكبائر، من الخطأ والزلل، من السهو والنسيان(٨٩)، جاء في دعاء الزيارات الجامعة: (عصمكم الله من الزلل، وآمَنَّكم من الفتن، وطهركم من الدنس، وأذهب عنكم الرجس، وطهركم تطهيرا)(٩٠)، فهم المعصومون من الذنوب، المبرؤون من الأدناس، والعيوب للدلائل العقلية، والبراهين النقلية، المذكورة في كتب أصحابنا الكلامية (٩١).

إنّ المذهب الحق هو القول بعصمة الأنبياء عليهم السلام في تبليغ الرسالة، وكذلك هم معصومون من الكبائر ومن الإصرار على الصغائر، وأيضا هم معصومون مما يخل بالشرف والمروءة.. إلخ، أما الصغائر فقد تقع منهم لكنهم يتوبون

(٨٠) ينظر: المختصر: للحلي، ص١١٩.
(٨١) ينظر: بحار الأنوار:للمجلسي، (١٥٥/١٧)، والكافي: للكليني، (٤١٣/١)، والاعتقادات: للصدوق، ص٦٨، وأوائل المقالات: للمفيد، (٦٨/٤)، وإعلام الورى: للطبرسي، (٩٩/٢)، والخرائج والجرائح: للراوندي، (٨٥٢/٢).
(٨٢) ص٦٠٨، وفي اصطفائهم ينظر، ص٦٠٩.
(٨٣) شرح ص٤٥.٤٧، وينظر :بحار الأنوار:للمجلسي، (٢٩٤/٢٦).
(٨٤) ص٦٠٩.
(٨٥) ص٦١٢.
(٨٦) ص٦١٦.
(٨٧) الشرح ص١٣٩ . ١٤٠. وينظر ص١٨٣.
(٨٨) ص٦١٣، وينظر: الحكومة الإسلامية الولاية التكوينية: للخميني، ص٥٢.
(٨٩) ينظر: بحار الأنوار: للمجلسي، (٢١١/٢٥)، ومرآة العقول: ، (٣٥٢/٤)، وهذا ما استقر عليه مذهب الشيعة. وينظر: أصول مذهب الشيعة الإثنى عشر: د/ ناصر القفاري، (٩٤١/٢).
(٩٠) ص٦٠٩.
(٩١) الشرح١١١

منها ولا يصرون عليها، وتكون حالهم بعد التوبة خيراً منها قبل الوقوع في هذه الصغائر، وهذا هو القول الحق[٩٢]؛ لموافقته لكتاب الله سبحانه من غير ليّ لأعناق النصوص أو تعسف في محاولة تأويلها، فمن الأدلة قوله سبحانه: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٢١﴾ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾[طه:١٢١_١٢٢]، وقوله عن موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[القصص:١٦]، وقوله عن نبينا ﷺ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾[الفتح:١_٢]، وغيرها من الآيات كثير، وكل هذا دال على وقوع الصغائر من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولكن يتوبون منها، ويعود حالهم بعد التوبة أحسن من قبل وقوع المعصية الصغيرة.

فإن وقعت المعاصي من الأنبياء فوقوعها من الأئمة من باب أولى.

إضافة إلى ذلك أن للشيعة روايات تنافي قولهم بعصمة أئمتهم[٩٣]، بل إن علي رضي الله عنه لا يرى أفضليته على أبي بكر وعمر رضي الله عنهم أجمعين[٩٤]، وهذا تناقض منهم في مسألة يقوم عليها مذهبهم.

ثم إن هذه الصّورة للعصمة التي يرسمها الشيعة، ويجمع الشيعة عليها لم تتحقّق لأنبياء الله ورسله كما يدلّ على ذلك صريح القرآن، والسّنّة، وإجماع الأمة، بل إنّ النّفي المطلق للسّهو والنّسيان عن الأئمّة تشبيه لهم بالله الذي لا تأخذه سنة ولا نوم.

ثم إن دعوى العصمة للأئمّة تضاهي المشاركة في النّبوّة، فإنّ المعصوم يجب اتّباعه في كلّ ما يقول، ولا يجوز أن يخالف في شيء، وهذه خاصّة بالأنبياء ولهذا أمرنا أن نؤمن بما أنزل إليهم فقال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[البقرة:١٣٦]، فأمرنا أن نقول آمنا بما: (وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ) فالإيمان بما جاء به النبيون مما أمرنا أن نقوله ونؤمن به، وهذا ما اتفق عليه المسلمون. فمن جعل لمن بعد الرّسول معصومًا يجب الإيمان بكلّ ما يقوله فقد أعطاه معنى النّبوّة، وإن لم يعطه لفظها[٩٥]، وهذا مخالف لدين الإسلام، للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها.

ثم إن المعصوم الذي يدعون اتباعه لم يعصمهم من الخلاف في أصل الدين عندهم وأساسه وهو الإمامة؛ فتجدهم مختلفين متنابذين متلاعنين يكفر بعضهم بعضًا لاختلافهم في عدد الأئمة، وفي تحديد أعيانهم، وفي الوقف وانتظار عودة الإمام، أو المضي إلى إمام آخر. هذا عدا الروايات المختلفة المتناقضة في الكثير من أمور دينهم في أصوله وفروعه، فما منعت العصمة المزعومة الشيعة من الاختلاف، كما أن عدم وجود أثرها يدل على انعدام أصلها.

وقد يقال بأن اعتقادهم في عصمة الأئمة أمر لا يؤثر اليوم لأن الأئمة قد انتهى وجودهم الفعلي منذ عام ٢٦٠هـ، ولم يبقَ إلا الانتظار للغائب الموعود.

ويمكن الرد بأن لهذه العقيدة آثار في واقع الشيعة اليوم، ويتمثل ذلك في جوانب منها:

(٩٢) ينظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى: للقاضي عياض، (٣٢٨/٢)، ومجموع الفتاوى: لابن تيمية، (٢٩٥.٢٩٠/١)، (٣١٩/٤)، ومنهاج السنة النبوية، (١٣٠/١)، وجامع الرسائل، (٣٢٨/٢).

(٩٣) ينظر: عيون الأخبار: (١٦٣)، أمالي الصدوق: ص٨٦، بحار الأنوار :للمجلسي، (٥٥/٢٨، ٦٦، ٧٥)، (١٠٣/٣٨).

(٩٤) ينظر: الصوارم المهرقة في جواب الصواعق المحرقة: التستري، ص٣٢٣.

(٩٥) منهاج السّنّة: ١٧٤/٣

أولاً: غلوهم في قبورهم وأضرحتهم؛ فالغلو في عصمتهم إلى حد وصفهم بصفات الإلهية تحول إلى غلو في قبورهم ومشاهدهم فيطاف بها وتدعى من دون الله سبحانه.

ثانيا: أن المجتهد الشيعي أصبح له شيء من هذه الصفة، فهم يرون أن الراد عليه كالراد على الله، وهو على حد الشرك بالله، وهذا من الخطورة بمكان؛ لأن آيات الشيعة اليوم هم الذين يقودون الحكم في دولة الشيعة. فينفذ الشعب تعاليمهم على أنها من شرع الله، ولا يعترض عليهم خشية الوقوع في الشرك.

المطلب السابع: دعوى الحلول والاتحاد لأئمتهم:

زعم الشيعة الاثنى عشرية حلول جزء إلهي لأئمتهم(٩٦)، ثم تطور الزعم لدى بعضهم فاتسع نطاقه إلى القول بوحدة الوجود، وعدوا ذلك أعلى مقامات التوحيد، إذ هو الغاية من التوحيد(٩٧).

وقد جاء هذا في دعاء الزيارات الجامعة: (ذكركم في الذاكرين، وأسماؤكم في الأسماء، وأجسادكم في الأجساد، وأرواحكم في الأرواح، وأنفسكم في النفوس، وآثاركم في الآثار، وقبوركم في القبور)(٩٨).

إن كان لأئمتهم صفات الإله كما يزعمون فكيف يحل الشيء في نفسه، وهم ادعوا لأئمتهم الربوبية والإلهية، وسموهم بأسماء الله الحسنى وصفاته العلية؟ فما الفائدة من الحلول؟

ثم على فرض حلول جزء من الإله فيهم كما يزعمون، فهل يحل فيهم وهم آلهة؟ أم يحل فيهم وهم ملائكة؟ أم يحل فيهم وهم أنبياء؟ ثم كيف يوحي إليهم وجزء منه قد حل فيهم! بل كيف نعرف الله بهم وهو حال فيهم؟ بل كيف يكون اصطفاهم وهو حال بهم؟ وعليه فبما أن إمامهم غاب فبمن حل الإله؟

كل هذا يبطل دعوى الحلول، ويكفي في فسادها مجرد تصورها، فهي مخالفة للنقل والعقل، والفطرة السوية، والسنن الكونية.

إضافة إلى نقض هذا بما روته كتبهم عن أئمتهم: (فو الله ما نحن إلا عبيد الذي خلقنا واصطفانا، ما نقدر على ضر ولا نفع..)(٩٩).

وبدعوى الحلول والتحاد يلتقي الاتجاه الشيعي مع الاتجاه النصراني، والاتجاه الصوفي(١٠٠).

المبحث الثالث: مسألة الرجعة:

رجعة أئمتهم ودولتهم أصل من أصول الشيعة الاثنى عشرية(١٠١)، اتفقت الشيعة عليها(١٠٢)، فهم مأمورون بالإقرار بها، واعتقادها، وتجديد الاعتراف بها في الأدعية والزيارات، ويوم الجمعة، وكل وقت كالإقرار بالتوحيد والنبوة والإمامة والقيامة(١٠٣).

(٩٦) أصول الكافي:للكليني، (٤٤٠/١)، ومصباح الهداية: للخميني، ص١١٤.
(٩٧) جامع السعادات: النراقي، ص١٣٢.١٣٣، ولؤلؤة البحرين: الكاشاني، ص١٢١.
(٩٨) ص٦١٢.
(٩٩) رجال الكشي، ص١٥١.
(١٠٠) هناك دراسات اهتمت بهذا الجانب كالصلة بين التصوف والتشيع:لمصطفى كامل الشيبي، والفكر الشيعي والنزعات الصوفيه له أيضا.
(١٠١) ينظر: الاعتقادات: لابن بابويه، ص٩٠، وأوائل المقالات: للمفيد، ص٥١.
(١٠٢) ينظر: أوائل المقالات: للمفيد، (٤٦/٤)، والكافي: للكليني، (٢٠٦/٨)، وبحار الأنوار:للمجلسي، (١٢٣/٥٣).

ومما جاء في دعاء الزيارات الجامعة: (مؤمن بإيابكم، مصدق برجعتكم، منتظر لأمركم، مرتقب لدولتكم، .... وجعلني من يقتص آثاركم، ويسلك سبيلكم، ويهتدي بهديكم، ويحشر في زمرتكم، ويكر في رجعتكم، ويملك في دولتكم، ويشرف في عافيتكم، ويمكن في أيامكم، وتقر عينه غدا برؤيتكم)(١٠٤).

والمراد: (مؤمن بإيابكم) أي معتقد برجوعكم في الدنيا لإعلاء الدين والانتقام من الكافرين والمنافقين وقصم شوكة المعاندين قبل يوم القيامة والدين. (مصدق برجعتكم) تفسير لم قبلها وهاتان الفقرتان تدلان على رجعة جميع الأئمة وقد تظافرت الأخبار وتواترت الآثار وأجمعت الشيعة الأبرار على الرجعة في الجملة وأنهم يرجعون إلى الدنيا في زمان المهدي عجل الله فرجه)(١٠٥).

فكرة الرجعة إلى الدنيا بعد الموت مخالفة صريحة لنص القرآن، وباطلة بدلالة آيات عديدة من كتاب الله سبحانه، قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴿٩٩﴾لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[المؤمنون: ٩٩ـ١٠٠]. فقوله سبحانه: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ صريح في نفي الرجعة مطلقًا .

وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [يس،:٣١]، وقال سبحانه: ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾ [إبراهيم:٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة:١٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَالَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام:٢٧-٢٨].

فهؤلاء جميعًا يسألون الرجوع عند الموت، وعند العرض على الجبار جل علاه، وعند رؤية النار فلا يجابون، لما سبق في قضائه أنهم إليها لا يرجعون ولذلك عدّ أهل العلم القول بالرجعة إلى الدنيا بعد الموت من أشد مراحل الغلو في بدعة التشيع(١٠٦).

وقد جاء في مسند الإمام أحمد (... قال للحسن بن علي: إن الشيعة يزعمون أن عليًا يرجع. قال الحسن: كذب أولئك الكذابون، لو علمنا ذاك ما تزوج نساؤه، ولا قسمنا ميراثه)(١٠٧).

والقول بالرجعة بعد الموت إلى الدنيا لمجازاة المسيئين وإثابة المحسنين ينافي طبيعة هذه الدنيا وأنها ليست دار جزاء، يقول تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران:١٨٥].

(١٠٣) ينظر: الإيقاظ من الهجعة:الحر العاملي، ص٦٤، وينظر أصول مذهب الشيعة:د/ناصر القفاري، (١١٠٣/٢).
(١٠٤) ص ٦١١.
(١٠٥) الشرح ص١٦١ وما بعدها. وينظر كذلك إلى: ١٧٠ـ١٧٨.
(١٠٦) ينظر: هدي الساري مقدمة فتح الباري: ص٤٥٩.
(١٠٧) لأحمد بن حنبل، (٣١٢/٢) رقم (١٢٦٥)، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

فالقول بالرجعة خلاف ما علم من الدين بالضرورة من أنه لا حشر قبل يوم القيامة، وأن الله تعالى كلما توعد كافرًا أو ظالمًا إنما توعده بيوم القيامة ولكن الشيعة تتوعد كل ما سوى الشيعة بالرجعة.

ثم لووا أعناق نصوص الإيمان باليوم الآخر وتأولوها بالرجعة.

وقد تسربت عقيدة الرجعة عن طريق المؤثرات اليهودية والمسيحية(١٠٨)، ودخلت التشيع بتأثير اتباع تلك الديانات. وقد استنتج أحد شيوخهم المعاصرين أن مبدأ الرجعة عند قومه يرجع في أصله إلى ما ورد في كتب اليهود ونقل بعض نصوص اليهود في ذلك، وأرجعها إلى كتاب دانيال، واعتبر ذلك بشارة للشيعة(١٠٩).

المبحث الرابع: مسألة البراء والولاء:

لما كانت الإمامة هي أصل المسائل كلها في عقيدة الشيعة الاثنى عشرية، فقد بنوا علاقتهم مع الآخرين عليها، إذ كل من أثبت الإمامة لأئمتهم والوه ومن ثم أحبوه، وزعموا أن مآله في الآخرة إلى الجنة.

أما من نفى الإمامة عن أحد أئمتهم تبرؤا منه، وأبغضوه، ومن ثم كفروه، ولعنوه، وحكموا عليه بالخلود في النار(١١٠).

ومما جاء في ولاية أئمتهم كما في دعاء الزيارات الجامعة: (من والاكم فقد والى الله، ومن عاداكم فقد عادى الله، ومن أحبكم فقد أحب الله، ومن أبغضكم قد أبغض الله، ... موال لكم، ولأوليائكم، مبغض لأعدائكم، ومعاد لهم، سلم لمن سالمكم، وحرب لمن حاربكم، ... أبرأ إلى الله منهم)(١١١)، وكذلك: (فالراغب عنكم مارق، واللازم لكم لاحق، والمقصر في حقكم زاهق، والحق معكم وفيكم ومنكم وإليكم وأنتم أهله ومعدنه)(١١٢)، وكذلك: (سعد من توالاكم وهلك من عاداكم وخاب من جحدكم وضل من فارقكم وفاز من تمسك بكم وآمن من لجأ إليكم وسلم من صدقكم وهدي من اعتصم بكم من اتبعكم فالجنة مأواه ومن خالفكم فالنار مثواه ومن جحدكم كافر ومن حاربكم مشرك ومن رد عليكم في أسفل درك من الجحيم)(١١٣)، وكذلك: (آمنت بكم وتوليت آخركم بما توليت به أولكم وبرئت إلى الله عز وجل من أعدائكم ومن الجبت والطاغوت والشياطين وحزبهم الظالمين لكم الجاحدين لحقكم والمارقين من ولايتكم أو الغاصبين لإرثكم والشاكين فيكم والمنحرفين عنكم ومن كل وليجة دونكم وكل مطاع سواكم ومن الأئمة الذين يدعون إلى النار فثبتني الله أبدا ما حييت على موالاتكم ومحبتكم ودينكم)(١١٤).

---

(١٠٨) ينظر: العقيدة والشريعة: جولد سيهر، ص٢١٥، فجر الإسلام: أحمد أمين، ص٢٧٠، الخلافة: محمد عمارة، ص١٥٩.

(١٠٩) ينظر: رسول الإسلام في الكتب السماوية: الصادقي، ص٢٣٩-٢٤١.

(١١٠) ينظر: بحار الأنوار: للمجلسي، (٣٦٦/٨)، والكافي: للكليني، (٤٣٧/١)، ومرآة الأنوارا: للعاملي، ص٢٠٢، والاعتقادات: للمجلسي، ص٩١.٩٠، والتحفة السنية: للجزائري، ص١٩٧، وينظر: الفكر التكفيري عند الشيعة حقيقة أم افتراء: لعبدالملك الشافعي، ص٢٧.

(١١١) ص٦٠٧، وينظر ص٦١٠.٦٠٩، وص٦١١.

(١١٢) ص٦٠٩.

(١١٣) ص٦١٠.

(١١٤) ص ٦١١.

بل إنهم جعلوا قَبول أعمالهم، وتكفير ذنوبهم بسبب ولايتهم لأئمتهم(١١٥)، جاء في دعاء الزيارات الجامعة: (وجعل صلاتنا عليكم، وما خصنا به من ولايتكم طيبا لخلقنا وطهارة لأنفسنا وتزكية لنا وكفارة لذنوبنا فكنا عنده مسلمين بفضلكم ومعروفين بتصديقنا إياكم)(١١٦)، (وبموالاتكم تمت الكلمة وعظمت النعمة وائتلفت الفرقة وبموالاتكم تقبل الطاعة المفترضة ولكم المودة الواجبة... فاز الفائزون بولايتكم بكم يسلك إلى الرضوان وعلى من جحد ولايتكم غضب الرحمن)(١١٧).

وقد اتفقت الإمامية الاثنى عشرية على أن من جحد إمام من أئمتهم، وجحد ما أوجبه الله تعالى من فرض الطاعة لهم وولايتهم فهو كافر ضال يستحق الخلود بالنار(١١٨)، ومما جاء في دعاء الزيارات الجامعة: (سعد من تولاكم وهلك من عاداكم وخاب من جحدكم وضل من فارقكم وفاز من تمسك بكم وآمن من لجأ إليكم وسلم من صدقكم وهدي من اعتصم بكم من اتبعكم فالجنة مأواه ومن خالفكم فالنار مثواه ومن جحدكم كافر ومن حاربكم مشرك ومن رد عليكم في أسفل درك من الجحيم)(١١٩).

ولعن كل من خالفهم وتكفيره مستفيض في كتبهم، لذلك فإن أدعية الزيارة والمشاهد التي يلهج بها الشيعة الاثنى عشرية ويرددونها، وتفيض لها دموعهم، وتلتهب بها عواطفهم بالحقد على غيرهم لا تخلو من لعن كبار الصحابة، ولم يسلم إلا قليل منهم، بل ولعن الأمة الإسلامية بأكملها، بل لم يسلم الجن من لعنهم!

ومما جاء في دعاء الزيارات الجامعة: (لعن الله عدو آل محمد من الجن والإنس)(١٢٠)، (لعن الله أمة غصبتك حقك ...، لعن الله ظالميكم، وغاصبيكم، ولعن الله أشياعهم وأتباعهم وأهل مذهبهم)(١٢١).

هنا سؤال يطرح نفسه! ما ذنب الذين ماتوا من الأمم السابقة وهم لم يوالوا الأئمة، لأنهم لا يعلمون عنهم شيئا، أو يدخلون النار بناء على دعوى الشيعة؟. وهل يُلْزَم الإنسان بمعرفة مجهول وغائب ليدخل الجنة؟.

بل إن النصوص الصريحة جاءت تخبر عن أن من آمن بالله تعالى دخل الجنة، ومن كفر بالله تعالى دخل النار. هذا هو المعيار، فدخول الجنة هي الغاية التي تبذل من أجلها النفوس، وهي الأمنية التي طالما سألها العبد ربه تعالى، ولعظمها ومكانتها لا تنال إلا بما هو عظيم الشأن، بتوحيد الله تعالى، بل إن دخول الجنة لا يكون إلا بفضل الله ورحمته.

وقد روت كتبهم ما ينقض أصلهم في الولاية (...أصل الدين شهادة ألا إله إلا الله، وأن فرعه محبة آل البيت وموالاتهم، وهي مشروطة بمن وافق الحق ودعا إليه..)(١٢٢).

(١١٥) ينظر: أمالي الصدوق، ص١٥٤ .١٥٥، وأصول مذهب الشيعة: د/ناصر القفاري، (٥٣١/٣).
(١١٦) ص٦١٠.
(١١٧) ص٦١٢.
(١١٨) ينظر: أوائل المقالات: للمفيد، ص٤٤.
(١١٩) ص٦١٠.
(١٢٠) ص٦٠٧.
(١٢١) ص٦١٦. ٦١٧. وينظر: الكافي: للكليني، (٥٧٨/٤).
(١٢٢) بحار الأنوار: للمجلسي، (٢٤٧/٢٣).

الخاتمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فها أنا ذا ألقي عصا التسيار لأدون خاتمة البحث ـ جعلها الله خاتمة مسك ـ بأهم النتائج التي توصلت إليها، وإبراز التوصيات التي أرى أهميتها.

فمن النتائج التي توصلت إليها:

- تعظيم الشيعة للقبور والمشاهد والمزارات، وتخصيص آداب وأدعية شركية حيال زيارتها، وبذل الأموال لأجلها.
- حرص الشيعة على نشر معتقداتهم الباطلة بشتى الطرق التقنية والإعلامية.
- رسخ الشيعة معتقداتهم الباطلة في نفوس الكثير من أتباعهم عن طريق الأدعية، فإن من يردد كل يوم شيئا وإن كان يجهله لزم أن يترسخ ذلك في نفسه وعقله وقلبه.
- مظاهر الشرك واضحة جلية في بدع زيارتهم وأدعيتهم.
- دعاء الزيارات الجامعة أشتمل على أهم عقائد الشيعة.
- مسألة الإمامة هي مدار وأصل كل المسائل لدى الشيعة.

أما عن التوصيات التي أوصي بها:

- ضرورة التصدي لكتب الأدعية عند الفرق المخالفة كالشيعة والصوفية لنقدها، وبيان عوارها ليكن لدى الناس حصانة منها، وألا نغفل عنها لأن لها تأثير عجيب في نفوس الناس، وتنتشر بسهولة.
- المساهمة في نشر العلم الشرعي السني بكل الوسائل والسبل، وتسخير وسائل التقنية الحديثة لهذا.

الباحثة . . .

ثبت المراجع:

* الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد: د.سعود العريفي. دار عالم الفوائد. ط١. ١٤١٩هـ.

* إرشاد القلوب: للحسن بن أبي الحسن الديلمي، ت: السيد هاشم الميلاني. ن: دار الأسوة. ط:٢. ١٤٢٤هـ.

* أصل الشيعة وأصولها: لمحمد آل كاشف الغطا.ت: علاء آل جعفر.ن: مؤسسة الإمام علي.ط:ب.

* أصول الكافي: للكليني. ن: دار المرتضى. بيروت. ط١. مكتبة آل البيت. لؤلؤة البحرين: الكاشاني.

* أصول مذهب الشعية الإمامية الإثني عشرية عرض ونقد: د.ناصر بن عبدالله بن علي القفاري. ن: دار الرضا. ط: ٣. ١٤١٨هـ.

* الاعتقادات: محمد باقر المجلسي. ط:ب.

* الاعتقادات في دين الإمامية: للصدوق. ن: دار المفيد. ط:٢.

* إعلام الورى بأعلام الهدى: للطبرسي.ن: دار الكتب الإسلامية. ط:٣.

* الأمالي: للصدوق.مؤسسة البعثة. ط:١. ١٤١٧هـ.

* الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة: شرح آل كاشف الغطاء السيد عبدالله شبر.

* أوائل المقالات: محمد بن محمد النعمان المفيد.ط:٢. ١٤١٤هـ .ن: دار المفيد.

* الإيقاظ من الهجعة: محمد بن الحسن الحر العاملي. ت: السيد هاشم المحلاتي.ط:ب.

* بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي.ن: دار إحياء التراث.ط:٣.

* بيان تلبيس الجهمية: أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية.ط:١.ن: مجمع خادم الحرمين لطباعة المصحف الشريف.

* التحفة السنية في شرح النخبة المحسنية: للسيد عبدالله الموسوي الجزائري.ط:ب.

* التدمرية: لابن تيمية.ت: محمد السعوي، ط٢.ن. مكتبة العبيكان.

* جامع الرسائل: لابن تيمية. تحقيق محمد رشاد سالم. ن. دار العطاء. ط١.

* جامع السعادات: محمد مهدي النراقي. ط: ب.

* الحكومة الإسلامية الولاية التكوينية: للخميني. ط: ٣.

* الخرائج والجرائح: لقطب الدين بن سعد الراوندي. ط: ١.

* درء تعارض العقل والنقل: لأحمد بن عبدالحليم ابن تيمية. تحقيق محمد رشاد سالم. ط: ١.

* رسائل الشريف المرتضى.ن : دار القرآن الكريم.

* رسول الإسلام في الكتب السماوية: محمد الصادقي.ط:١.

* زهر الربيع: للحسيني نعمة الله الجزائري. ن: مطبعة المحمدي. ط:ب

* سنن أبي داوود.ت: محمد الخالدي. مكتبة الباز.ط١.

* شرح العقيدة الطحاوية: لابن أبي العز. مؤسسة الرسالة.ط.١٠,١٤١٧هـ.

* صحيح البخاري. اعتنى به أبوصهيب الكرمي. بيت الأفكار الدولية للنشر.

* صحيح مسلم. اعتنى به أبوصهيب الكرمي. بيت الأفكار الدولية للنشر.

* الصوارم المهرقة في نقد الصواعق المحرقة: نور الله التستري.ت: جلال الدين الحسيني.ن: دار مشعر.ط:١.

* عقائد الشيعة الاثنى عشرية سؤال وجواب: عبدالرحمن الشثري. ط ٨.

* الفصول المهمة في أصول الأئمة: محمد بن الحسن الحر العاملي.ن: مؤسسة معارف إسلامي إمام رضا. ط:١. ١٤١٨هـ.

* الفكر التكفيري عند الشيعة حقيقة أم افتراء: لعبدالملك الشافعي. ن: مكتبة الإمام البخاري.

* مجموع الفتاوى: لابن تيمية. جمع عبدالرحمن القاسم. مؤسسة الرسالة.ط.ب.

* المختصر النافع في فقه الإمامية: لأبي القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن الحلي.ن: دار الأضواء. ط: ٣.

* مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار: للعاملي.ن: مؤسسة دار التفسير. ١٩٩٦م مكتبة آل البيت.

* المزار. مناسك المزار. محمد بن النعمان بن المعلم المفيد. تحقيق: آية الله السيد محمد باقر الأبطحي.ط:ب.

* معارج القبول: لحافظ بن أحمد الحكمي. دار ابن القيم. ط٣. ١٤١٥هـ.

* المعرفة في الإسلام مصادره ومجالاتها: د.عبدالله القرني. دار عالم الفوائد.ط١. ١٤١٩هـ.

* منهاج السّنّة: لأحمد بن عبدالحليم بن تيمية.ت: محمد رشاد سالم.ط٢.

* http://www.alsada.net/

* http://www.alshia.org/html/ara/others/?mod=monasebat&id=257